سلسلة حكايات عصرية للشباب

مفهومُ التّسامُح
قِصّةُ الصّديقان

تأليف
د/ إسماعيل عبدالفتاح

سلسلة حكايات عصرية للشباب
مفهوم التسامح - قصة الصديقان

تاليف
د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافى

تصميم الغلاف :
سامر محمود

التنسيق الداخلى :
صالح صلاح عبد العزيز - رفعت حسن سيد

الناشر :
دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع :
2004/11680

الترقيم الدولى :
977-380-009-1

الطبعة :
الأولى - يناير 2005

سنة الطبع :
1426 هـ / 2005 م

العنوان :
43ب شارع رمسيس - أمام جمعية الشبان المسلمين - الدور السادس - شقة 71 - معروف .

المراسلات :
ص ب : 202 محمد فريد 11518 القاهرة

هاتف : ٥٧٦١٤٠٠(٢٠٢) فاكس : ٥٧٩٩٩٠٧ (٢٠٢)

إدارة المبيعات :
0127221936 - . 0101636192

البريد الإلكترونى :
Info@daralaloom.com
daralaloom@hotmail.com

WWW.daralaloom.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مفهومُ التّسامُح

قِصّةُ الصّديقانِ

بدأ محمدٌ يرتقي سُلّمَ الطائرةِ المتجهةِ إلى روما الإيطاليةِ.. وهو سعيدٌ لأنّه استطاعَ أن يحصُلَ على عقدٍ للعملِ أثناءَ العطلةِ الصّيفيّةِ في أحدِ الفنادقِ الإيطاليّةِ.. .

نعَم.. محمدٌ كان سعيدًا للغايةِ لأنه انتهى من امتحان الصّفِّ الثالثِ بكليَّةِ السياحةِ والفنادق، ويريدُ أن يحققَ ذاتَه ويكتشفَ قدراتِه ويكتسبَ مزيدًا منَ الثقةِ بالنّفس..

وأرشدتْهُ المضيفةُ الجويَّةُ إلى مكانِ جلوسِه، فتوجَّهَ إليه وهو سعيدٌ.. مبتسمٌ .. وجلسَ على الفورِ.. فوجد بجانبِه أحدَ الرُّكابِ فابتسمَ له فبادَلَهُ الابتسامةَ.. .

وما هي إلا لحظاتٌ.. حتى تبادلَ الرّاكبان الحديثَ:

ـ أنا محمدٌ.. طالبٌ جامعيٌّ.. متجهٌ إلى روما.. .

ـ وأنا جوزيف.. أعملُ مهندسًا للإلكترونياتِ بدولةِ الإماراتِ.. .

فابتسمَ محمدٌ أكثرَ وأكثرَ وهو يصيحُ:

ـ جوزيف.. يوسفُ بالعربي.. اسمٌ جميلٌ.. كنتُ أنوي تسميةَ ابني الأول بهذا الاسمِ عندما أتزوجُ.. .

فعلتْ الدهشةُ وجهَ جوزيفِ وهو يقولُ:

ـ وهل منَ المسلمينَ منْ يُسمّى جوزيف؟

فقال محمدٌ بكلِّ حماسٍ:



- نعمْ.. نعمْ.. فاسمُ يوسفُ منتشرٌ لدى الأُسرِ المسلمةِ.. لأنّه اسمٌ لنبيٍ كريمٍ منحَهُ اللهُ الجمالَ والعقلَ الراجحَ.. .

- لمْ أكنْ أعرفُ ذلك.. تصورتُ أن جوزيفَ اسمٌ للمسيحيينَ فقط.. فنحن مثلاً لا نُسمّى محمدًا!!

فهزَّ محمدٌ رأسَه.. وقالَ:

- نوعٌ من التعصُّبِ الأعمَى لديكُم ضدَّ الإسلام والمسلمينَ.. ولكن عندنا نُسمِّي كلَّ أسماء الأنبياءِ: موسى - إبراهيمَ - نوح - إدريسَ - إسماعيلَ - يوسفَ - حتى عيسَى أيضًا!!

فازدادتْ دهشةُ جوزيف وقال:

- لقدْ أكدتْ أختِي ماري لي ذاتَ يوم أن المسلمين يتسمِونَ بالأنانيةِ وحبِّ الذاتِ والنرْجِسَّيةِ ولا يسمونَ إلا محمدًا وأحمد.. .

فقال محمدٌ بحدَّةٍ:

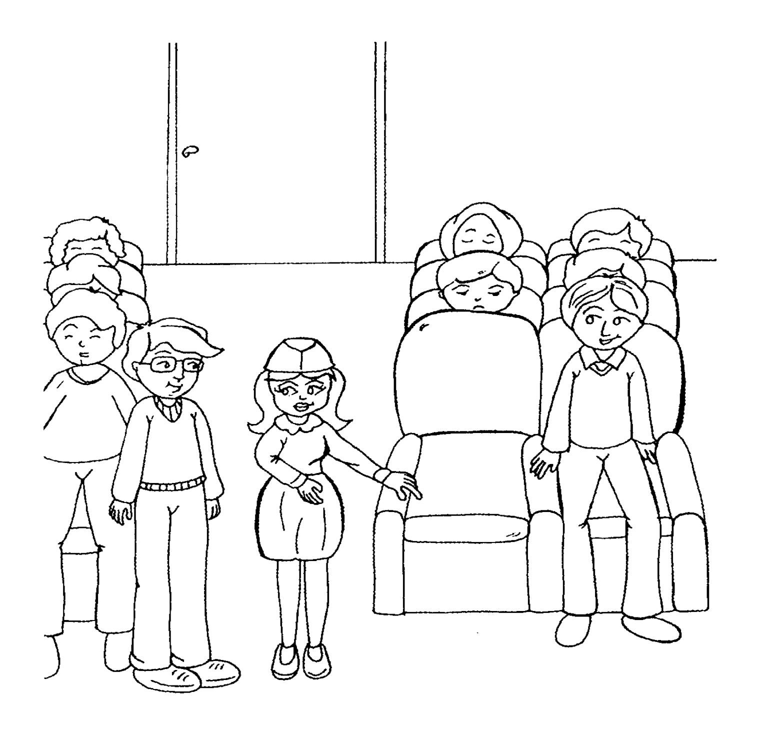
- هذا هو التعصبُ الأعمَى بعينهِ لديكُم.. والمثلُ الحيُّ على ذلك هو ماري أختُك فاسمُها هو أحبُّ الأسماءِ لديْنا.. فماري هي مريمُ بالعربيَّةِ.. واسمَ السيدةِ مريمَ هو اسمُ السيدةِ الوحيدِ الذي ذُكرَ في القرآنِ.. .

فصاحَ جوزيف:

- وهل ذُكرَ اسمُ مريمَ في القرآن كتابِكُم؟!

فقال محمدٌ وهو يشدِّدُ على صحة أقواله:

- نعمْ جاءتْ أكثرَ من مرةٍ، بل وصفَها اللهُ ﷻ في كتابِه السماوِي الجليلِ القرآنِ الكريمِ الذي أنزَله لنا



وللنّاس كافةٍ: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢].. .

ووسَطِ دهشَةِ جوزيف البالغةِ جاءتْ المضيفةُ بوجبةِ الغداءِ فتوقَّفَ الحديثُ وبدأ الراكبان في تناول الطعام ولكن ذهنيهما لم يتوقفا عن التفكير فيما ثارَ من موضوعاتٍ.. .

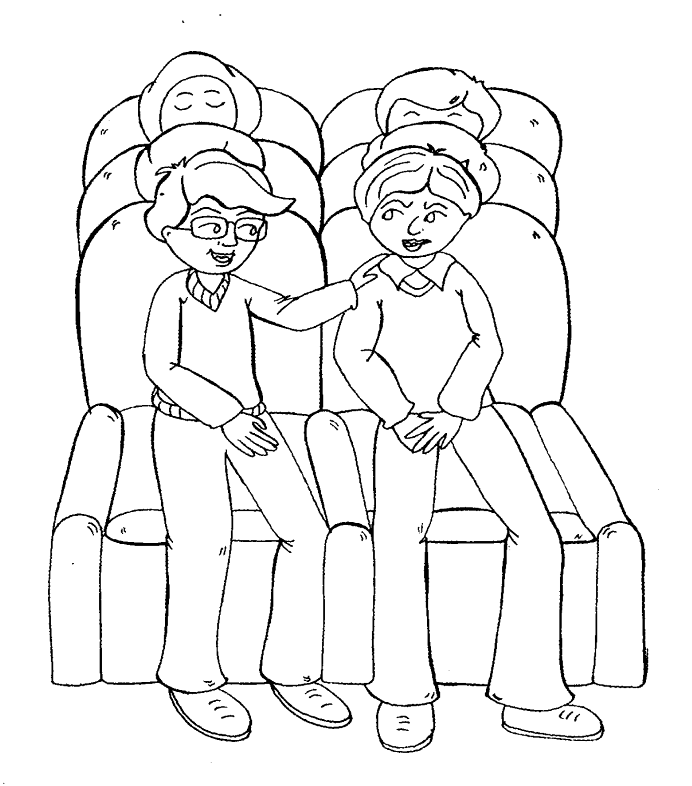
وبعد انتهاء تناولِ الغداءِ.. ابتسمَ جوزيفُ وهو يقولُ:

ـ مفاجأة يا صديقي.. لم أكنْ أعرفُ أن أسماءنَا محبوبةٌ لديكُم أنتم المسلمينَ !!.. هل المسيحيةُ محبوبةٌ لديكم؟! .

وسمع السؤالَ أحدُ القريبين منهم.. فقال له:

ـ يا أخُ.. الإسلامُ دينٌ نزلُ للنّاسِ كافةً.. ولذلكَ لابدّ أن يؤمنَ المسلمُ بما أُنْزِلَ قبلَه من الكُتبِ والرُّسلِ.

فمن أركان الإسلام الإيمانُ بالكتبِ السابقة ومنها الإنجيلُ.. والإيمانُ بالرّسلِ السابقةِ ومنهمُ المسيح عليه السلام.. فلقدْ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، وقال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].. .



وأكملَ محمدٌ قائلاً:

ـ وما لا تعلَمُه يا أخُ جوزيف أنّ المسيحيينَ أقربُ الناس للمسلمينَ بنصٍّ كلماتِ اللهِ في كتابهِ العزيز: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]..

فأطرقَ جوزيفُ وطأطأ رأسَه مفكرًا.. وقال:

ـ أعتذرُ لكم أيها الأخوةُ عن مفاهيمي الضَّيِّقَةِ عنِ الإسلام وعنِ المسلمين.. حقًا لقدْ أخذتْني دراسةُ الإلكترونياتِ ثمَّ العملُ في هذا المجال، وكنتُ أتلقّى المفاهيمَ الدينية بدون مُناقشةٍ ولا تفكير.. اعذروني.. وأعدُكم أن أقرأ وأسمع وأُحبَّ الإسلامَ والمسلمينَ..

وسادتْ لحظاتُ صمتٍ رهيبةٍ.. وتساءلَ جوزيف:

ـ لماذا تُسافرُ إلى إيطاليا وأنتَ مازلتَ طالبًا؟!

فاعتدلَ محمدٌ وقال:

ـ من أجلِ العملِ واكتسابِ الخبرةِ يا صديقي؟!

فضحِكَ جوزيفُ وقال:

ـ جميلٌ.. جميلٌ جدًا ما قلتهُ يا محمدٌ.. يا صديقي.. إنني خفتُ أن أعرضَ عليك صداقتي.. نعمْ خِفتُ لأنني كنتُ أخشى ألا تقبلَ ذلك.. أدينُكَ يقولُ لك ذلك؟!

فأسرعَ محمدٌ وهو يقولُ:

ـ يا جوزيفُ.. يا يوسفُ.. الإسلامُ يعلمُنا القيمَ

ويعلمُنا الأدبَ.. ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١-٦].. .

فغضبَ جوزيفُ وقال بحدة:

ـ ولكني لستُ كافرًا يا محمدُ يا صديقي، أتصِفُني بالكُفرِ والإلحادِ؟!

فأسرعَ محمدٌ وهو يقولُ:

ـ لا تغضبْ بسرعةٍ.. ولا تتسرع.. فإذا كانَ الإسلامُ يأمُرُنا بذلك بالنسبةِ للكافرينَ فما بالُك بأصْحاب الكتابِ مثلكم.. فأنْتُم أقربُ الناسِ إلينا.. وأنا أتشرَّفُ بصداقتِك!!.

فهزَّ جوزيفُ رأسَهَ وهو يقولُ:

ـ نعم.. هذا جيدٌ!!

وأكملَ محمدٌ حديثَه:

ـ وأنا لي أصدقاءٌ أقباطٌ مسيحيونَ.. فنصفُ أصدقائي منهم.. وحولي ثلاثةٌ من الجيران منهم، وتربطُنَا بهم علاقاتٌ ممتازةٌ، فأفراحُنا هي أفراحُهم، ومآتِمُنا هي مآتِمهُم والعكسُ صحيحٌ!!.

فتساءلَ جوزيفُ بحدَّةٍ:

ـ هل هذا معقولٌ؟! الأقباطُ في مصرَ كما نسمعُ يضطهدُهم المسلمون ويعاملونَهم أسوأ معاملةٍ؟!.

فغَضِبَ محمدٌ وقالَ:

ـ لا.. لا يا صديقي.. أتعرفُ كلمةَ قبطٍ ماذا تعني؟! إنها تَعني كلَّ من يعيشُ على أرضِ مصرَ مسلمًا أو مسيحيًا.. فكيفَ نضطهدُ الأقباط.. ثم أن القانونَ لم يفرِّقْ بينَ مسلمٍ ومسيحيٍ في الحقوق والواجباتِ، كما أن الإسلامَ لم يقرَّ بأي تفرقةٍ في ذلكَ.. فهم جزءٌ من النسيج المصري ونحن كمسلمين جزءٌ من هذا النسيج.. كلنا مصريون وكلنا مؤمنون بالله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ..

وأعلنت المضيفةُ عن وصول الطائرةِ للمجال الجوي الإيطالِي فحزنَ جوزيفُ على فِراق صديقِهِ وقال له:

ـ لا بدَّ أن نواصلَ علاقاتِنا وصداقتِنا.. هذا هو تليفونِي في لندنَ وسأزورُ روما في طريق عودَتِي للإماراتِ بعد حوالِي شهرٍ ونصفٍ وأرجوك أن تعطيَنِي تليفونَ وعنوانَ الفندقِ الَّذي ستعملَ به من أجلِ الالتقاءِ.. .

وافترقَ الصديقان على أملِ اللقاءِ والمحادثةِ الهاتفيةِ..

ونزلَ محمدٌ إلى رَوما واستَلمَ عملَه وتاه في تفاصيل الحياةِ هناك ما بين العمِل لمدة تزيد على ١٢ ساعة يوميًا وما بينَ النزهَةِ واكتشافِ روما وإيطاليا ودولةِ الفاتيكان وكادَ أن يَنْسى محاورَاتِه مع يوسفَ رفيق رحلتِهِ منَ القاهرَةَ إلى رُوما، حتى فوجِئ ذاتَ يومٍ بيَوسفَ يقفُ أمامَه ويقولُ له:

ـ هاللو محمد.. أهلاً وسهلاً.. ها نحن نلتقي من جديدٍ.. .



وبالفعل لم يمرْ أكثرُ من ثانيةٍ واحدةٍ حتى كان الرفيقان يتعانقان عِناقًا يَنمُّ عن صداقةٍ متأصلةٍ.. مع أشواق ما بعدَ الفِراقِ.. ثم مرتَ لحظاتٌ حتى كان الصديقان يَتناولان طعامَ العشاءِ في أحدِ مطاعمِ الفندق وهما يَحكيان أسرارَ حياتِهما وما مرَّا به من مواقفَ خلالِ فترةِ الفراقِ الممتدةِ.. فقال جوزيفُ:

ـ يا صديقي.. لقد تأثرتُ بكلماتِكَ التي سمعتُها منكَ أثناءَ الرحلةِ الجويَّةِ من القاهرةِ إلى رُوما.. وذهبتُ إلى لندنَ وتوجهتُ لقراءةِ بعض المصادرِ.. وتعجبَ الأهلُ من تغيري وتبدل مواقفي.. وقلتُ لهم: إن الفضلَ يرجعُ لمحمدٍ..

فربتَ محمدٌ على يد صديقِه يوسفَ وهو يقولُ:

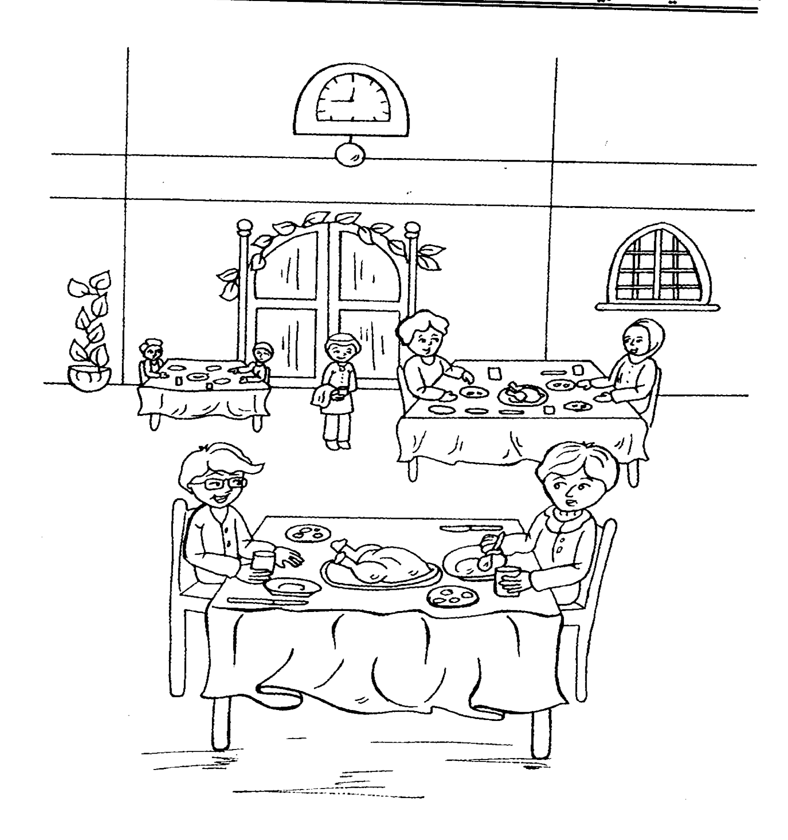
ـ الفضلُ للهِ ﷻ وحدَه.. وأنتَ طالما تعمَّقتَ في علومِ الإلكترونياتِ لا بدَّ أن تَعقل معنىً واحدًا هو: أن الحياةَ لا تحتملُ الرأيَ الواحدَ والفكرَ الواحدَ والاتجاهَ الواحدَ...

فقال له جوزيفُ:

ـ هل معنى ذلك ضرورةُ وجودِ أكثر من رأي وأكثَر من فكرٍ وأكثرَ من اتجاهٍ.. وبالتالي صراعُهم وصِدَامُهم معًا.. هل صدامُ الإسلامِ بالحضاراتِ الأخرى صدامٌ حتميٌّ؟!

فضَحِكَ محمدٌ وهو يتناولُ الطعامَ وقال:

ـ يا صديقي من قالَ لك هذا؟! أمامَنا أكثر من نوعٍ



من الطعامِ ونأكُلهم معًا فهل هناك تصادُم أو صراعٌ.. لا يا صديقي...

فقال جوزيفُ بجِدَّةٍ:

ـ ولماذا تَضْحَكُ؟! لقدْ أعلنَ عن هذا التصادُم العديدُ من المفكرِينَ وهم أدري مني ومنك بالحقيقةِ؟! أنتمُ المسلمونَ متعصبينَ لِفكركم وآرائِكم؟!.

فترك محمدٌ الملعقةَ جَانبًا وقال:

ـ يا صديقي.. من يقولُ ذلك.. نحن المسلمين نُحِبُّ الجميعَ كما أمرَنا اللهُ.. نحبُّ كلَّ النّاسِ وكلَّ الأديان؟!.

فقال جوزيفُ:

ـ كيف ذلك وقد قالت لي مريمُ أنتم قد نشرتُم الإسلامَ بالعنفِ والقوةِ والإرهابِ والسيفِ؟!

فقال محمدٌ:

ـ يا صديقي مريمُ أختُك لا تعرفُ عن الإسلام شيئًا.. لأن اللهَ أمرَنا بالمجادَلة بالحسنى وبالقول الطيبِ لا بالعنفِ، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابَ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [العنكبوت:٤٦]، هذا بالنسبةَ لكم، وبالنسبةِ لنشرِ الإسلام بالسيفِ فإنَّ هذا افتراء لأن اللهَ أمرَنا بالدعوةِ إلى اللهِ بالحقِّ وبالكلمةِ الطيبةِ قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

فعلتْ الدَّهشةُ وجهَ جوزيفَ وهو يقولُ:

ـ أهذا معقولٌ؟ هذا منتهى التسامُحِ، وهذا منتهى

المدنيَّةِ والتحضّرِ.. لأن هذا هو الحوارُ في أسمَى معانيه...

فاعتدلَ محمَدٌ في جِلْسَتِه وهو يقول:

- نعم.. بل وصلَ الأمرُ في الإسلام أن دعانا المولى سبحانه وتعالى أن نتحاورَ معكم بالحقِّ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

واستمر اللقاءُ بين الصديقين فترةً طويلةً قال بعدها جوزيفُ:

- حقًا يا صديقي.. أنا أعتزُّ بصداقتِك الإنسانيةِ..

ولقدْ فهمتُ أن من تشرَّبَ الإسلامَ لا بد أن يكونَ أُفُقُه مُتسعًا للنقدِ.. والحوارِ.. فاقبلْ صداقتي !.

ففرِحَ محمدٌ وقال له:

- بَل اعتزُّ بها.. إنك صديقٌ عزيزٌ كبيرٌ عالِمٌ، ونحن نحبُ العلماءَ لأنهم أقربُ إلى اللهِ وإلى الحق وإلى العقلِ...

وبعدَ يومين من النزهةِ وزيارةِ معالمِ رُوما افترقَ الصديقان على أملِ تبادلِ الرسائل ومواصَلة الصداقة بينهما.. .

وبعدَ مرورِ الصَّيف، عاد محمدٌ إلى دراستِهِ في السَّنةِ النهائيةِ من كليةِ السّياحةِ والفنادق، ولكن استمر جوزيفُ في مراسلة محمدٍ عن طريق البريدِ والاطمئنان عليه عن طريقِ الهاتفِ.

ومرَّت الأيامُ.. وتخرَّجَ محمدٌ من الجامعةِ، وفوجئ

يومَ تخرجِه بصديقِه جوزيفُ يتصلُ به ويهنِّئُه ويقولُ له:
ـ لقد وصلتني دعوة لحضور ندوةِ عالميةِ عن سماحةِ الإسلام في باريس، ولقد طلبَتُ منهم دعوتَك معي فاستجابوا وقرروا دعوتك، فإلى اللقاءِ يا صديقي في باريس.. .

وبالفعل لم تمر أيامٌ حتى وصلتَ الدعوةُ لمحمدٍ، وبعد أيام أخرى استقلَّ محمدٌ الطائرَةَ إلى باريسَ لحضورِ الندوةِ العالميةِ التي ينظمُها معهدُ العالمِ العربي بباريسَ عن الإسلام وتحدياتِ العصر.. .

ووصلَ محمدٌ إلى باريسَ وهو يُفكِّرُ في مدينةِ النورِ كما تُسمَّى وجمالِها ففوجئ بصديقِه يوسفَ في استقبالِه في المطارِ، وبعد الاستقبال الرائع بين الصديقين .. قال يوسفُ:

ـ يا صديقي.. لكَ الفضلُ فيما وصلتُ إليه.. لقدْ خصَّصتُ جزءًا من وقتي لدراسة الإسلام دراسة متعمقة لأنني أحسستُ بجهلٍ من كلامِك عند لقاءِنا الأول.. .

ففرحَ محمدٌ وسُعِدَ بكلام صديقه وقال:
ـ وما أهمُّ ما توصلتَ إليه؟.
فقال يوسفُ بكلِ ثقةٍ:
ـ لقدْ توصلتُ، كما سترى في دراستِي المقدَّمةِ للندوَة، أن الإسلامَ دينٌ عالميٌ كبيرٌ اهتمَّ بحقوق الإنسان، وهو دينُ السماحِة والعزِّةِ معًا.. فإذا كان المسيحُ يأمُرنا بالسماحِة الملائكيَّة "إذا لطمكَ أخوك على خدِّك الأيمن فأدِر له خَدّكَ الأيسر"، فإن الإسلامَ أمرنا بالسماحةَ

البشريَّةِ لأننا لسنا ملائكةً بل بشرٌ!!

ـ حقًا يا صديقي.. إن الإسلامَ يأمرُنا بالسماحَةِ حتى في البيعِ والشراءِ كما قال الرسولُ الكريم ﷺ : "رحِمَ اللهُ رجلاً سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى سمحًا إذا اقتضى" رواه البخاري. كما يأمرُنا بأن نأكلَ طعامَ أهلِ الكتابِ يهودًا أو نصارى بسماحةٍ فلقدْ قال المولى ﷻ : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥]، ونهانا عن ظلمِ الآخرين حتى ولو كانوا أعداءً قال رسولنا الكريمُ: "من ظلَمَ مُعاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلَّفهُ فوقَ طاقتِه أو أخذَ منه شيئًا بغيرِ طيبِ نفسٍ منه، فأنا حَجِيجُه يومَ القيامةِ" رواه أبو داود والبيهقي، حتى ان رسولَنا الكريمَ يقول لنا: "من آذى ذمّيًّا فقدْ آذاني ومن آذاني فقدْ آذى الله" رواه الطبراني، إسنادٌ حسنٌ.

ـ بالفعل يا محمدُ.. لقد تأكدتُ من هذه المعاني الجميلةِ في الإسلام ولذلك أدعو في دراستِي إلى نشر هذهِ المفاهيمِ الإسلاميةِ، على أوسعِ نطاق وهذه مسئولية المسلمينَ في كلِّ مكان للتعريفِ الصحيحَ بأنفسهم.. .

وقضى الصديقان وقتًا ممتعًا في مختلفِ نواحي باريسَ، واشترك جوزيفُ "يوسفُ" في الندوةِ العالميةِ ومعه محمدٌ، حيثُ ألقى جوزيفُ دراستَه حولَ المفاهيمِ الإسلاميةِ والتحدِّي الحضاري ووجوبِ مواجهةِ الدّعاياتِ المغرضَةِ، ولاقتْ دراستُه استحسانَ الحضورِ وعَقَبَ محمدٌ علىَ الدراسةِ فقال:

- إن هذه الدراسةَ القيمةَ تنبعُ من أنَّ صاحبَها قد كتبهَا عن اقتناعٍ عقلي، لأن الإسلامَ دينُ حياةٍ متكاملةٍ.. فالإسلامُ دعا إلى حقوق الإنسان في أوسعِ صورةٍ عرفتها البشرية، فلا تفرقةَ بينَ أبيضَ وأسودَ ولا تفرقة بين غنيٍّ وفقيرٍ ولا بين قوى وضعيفٍ إلاَّ بالتَّقوى والعملِ الصالِح. كلُّ ذلك في مناسكِ الإسلام من صلاةٍ وصومٍ وحَجٍ وزكاةٍ.. كلُّ ذلك أدى إلى سماحةٍ واسعةٍ في الإسلام انطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات:١٣]. فالسماحةُ في الإسلام للبشر كلهم وليس لجنس أو عقيدةٍ مُعيَّنة، وهي بين المسلمينَ أروعَ صورةٍ للتسامحِ، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]. ودعَانا الإسلامُ إلى التعاون، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]. ولا شك أن الإسلامَ الذي يدعُونا للتعاونَ مع الجميع لخير البشريَّةِ إنما يؤكدُ ذلك أن الإسلامَ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأن ذلك يعني التحاورَ والعملَ لصالحِ البشريَّةِ جمعاء.

فأثنَى الحاضرونَ على تعقيبِ محمدٍ الذي عانقَ صديقه جوزيفَ وطلبَ أحدُ الأساتذةِ الحاضرينَ الكلمةَ للتعقيبِ، فأعطاه رئيسُ الجلسةِ الكلمةَ فقال:

- لم تقتصرْ سماحةُ الإسلام على وقتِ السّلم، وإنما للإسلامِ سماحتهُ في وقتِ الحربِ، فلا يجوزُ قتلُ الأسيرِ ولا تؤثرُ الحربَ على السّلمِ إلا في حالةِ الاعتداءِ فيكونُ

ردّ الاعتداءِ واجبٌ، بل يوجبُ الإسلامُ بضرورةِ إعلان الحربِ قبلَ البدءِ في القتالِ ثمَّ الكفُّ فورًا عن القتالِ في حالةِ ما توقفَ الأعداءُ عنه، ثمَّ تحريمُ الإسلام للتمثيلِ بالجثثِ وإحراقِها، ثم تحريمُ إتلافِ الأموالِ والتخريبِ في بلادِ العدو، وتجويعِ الأعداءِ، ويأتي قصْرُ القتالِ على الجيشِ المحاربِ دونَ الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ والرُّهبانِ دليلاً على سماحةِ الإسلامِ وعدالتِه، كما جاء في الحديثِ الشريفِ: "لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صغيرًا ولا امرأة" متفقٌ عليه.. فالحربُ في الإسلامِ أخلاقية سمحة بسماحةِ الإسلام وأخلاقِه.. .

وطلبَ آخرُ التعليق، فقال:

ـ لم يكنْ هناك مَثالٌ على التسامُحِ الإنساني في الإسلام أبلغَ من تسامُحِ الرسولِ ﷺ مع أهلِ قريشِ الذين حاربَوهَ وسلبوا أموالَه وأموالَ المسلمينَ وحاولوا تدميرَ دولتَه، بعد أن فتحَ الله عليه مكةَ المكرَّمة فقال لهم: ماذا تظنونَ أني فاعلٌ بكم؟!، وهم يعرفونَ أنه عادلٌ مُحسنٌ، فقالوا له: أخٌ كريمٌ وابنِ أخٍ كريم!!، فقال لهم على الفور في إحسانٍ لم يعرفه العالمُ من قبل: اذهبوا فأنتم الطلقاءَ!! أيُّ إحسانٍ جماعِيّ مثلَ هذا؟! بل وأن جيوشَ المسلمين التي حاربتْ الفرسَ والرومَ ومن قبلِهم المرتدينَ لم يُمثِّلوا بجثةٍ ولمْ يقطعُوا شجرةً حتى انهم ردُّوا أموالَ وغنائمَ أهلِ حمصَ بعد فتحِها مما تسبّبَ في فتحِ ما حولَها، كما فعلَ رسولُ الله ﷺ بأهلِ هوازنَ وثقيفَ بعد معركةِ الطائفِ وبعد معركةِ حُنين.. إنهَا مجردُ أمثلةِ

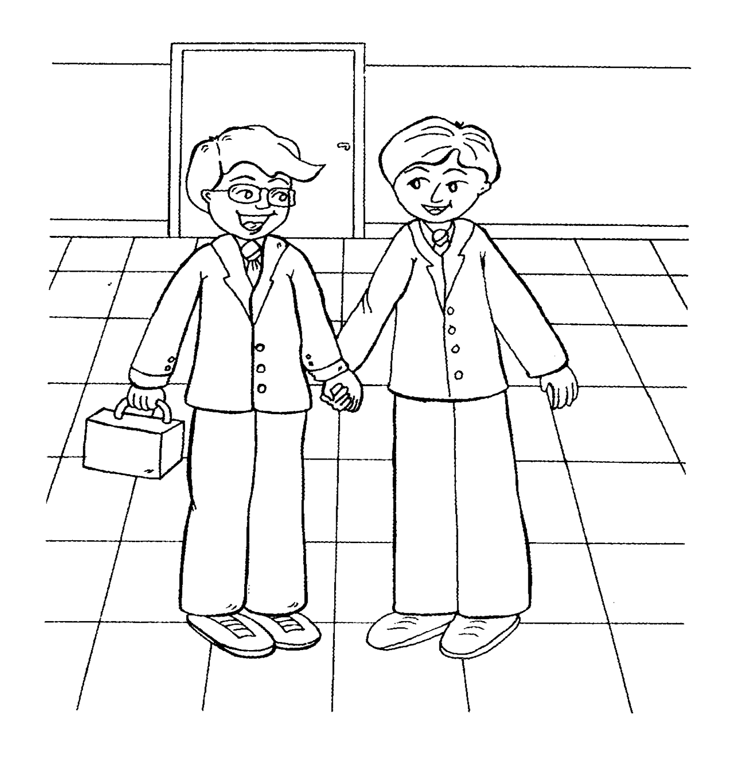
تؤكدُ أن الإسلامَ دينٌ متحضرٌ ودينٌ يستطيعُ أن يواجِهَ تحدياتِ العصرِ بكلِّ قوةٍ وثباتٍ.. بالأخلاقِ والقيمِ وبالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ وبكلِّ ما فيه من مبادئ راسخةٍ تفيدُ البشريّةَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وأخذ يوسفُ الميكرفونَ مرةً أخرى في نهايةِ الجلسةِ ليقول:

ـ رغم أنني لستُ مُسلمًا إلا أنني أحبُّ الإسلامَ بمبادئه الإنسانيَّةِ العظيمةِ وسمو قيمِه وأحبُّ من خلال تجربتي مع صديقي محمدٍ أن نتحابَّ في الإنسانية لأن هذا ما دعانا إليه المسيحُ ومن بعده محمدٌ عليهما السلامُ.. فالحبُّ في اللهِ هو خيرٌ للبشريةِ، وحسابُ الأديانِ عند اللهِ تعالى: فلا بدَّ أن تكبرَ صداقتي بصديقي محمدٍ المسلمِ، وهذا هو النموذجُ الصغيرُ الذي نضعُه أمامَ البشريَّةِ من أجلِ المحبةِ بين الجميعِ، فإذا كان المسلمُ هو جارٌ للمسيحي في مصرَ ولبنانَ وسوريَا وبقيةِ المجتمعِ الإسلامي خيرُ تعبيرٍ.. وأحبُّ أن أكررَ على مسامعِ حضراتكم أن أعمالَ وأفعالَ المسلمينَ ليست حجةً على الإسلام بل مبادئ الإسلامِ هي الحجةُ القويةُ والأكيدةُ على طبيعةِ المجتمعِ الإسلاميِّ!!.

وصفقَ الحاضرونَ ليوسفَ تصفيقًا حارًا، وهنأه الجميعُ بدراستِه القيّمة، واتخذَ المؤتمرُ استراتيجية لتحسين صورةِ الإسلامِ في المجتمعاتِ الغربيةِ من خلالِ وسائلِ الإعلامِ ومن خلالِ التلاحمِ والتعاضدِ.. .

ووقفَ محمدٌ يهنئ صديقَه "يوسف" ويقولُ له:



ـ أحسنتَ يا يوسفُ.. بارك الله فيك.. لقد كدْتُ أحسَبُكَ مسلمًا مؤمنًا عالمًا جليلاً، لقوةِ حُجّتِك ودفاعِك عن مبادئ الإسلامِ وغاياتِه العظيمةِ، فعانقه يوسفُ وهو يقول له:

ـ يا صديقي محمدُ.. الصداقةُ أشملُ وأعمُّ من أي علاقةٍ، وإن كنتُ مازلتُ مسيحيَّ الديانة، إلا أنني أدعوكَ لتقرأ القرآنَ وتتعمق فيه، فكلُّ الأديانِ بُنيتْ على الوحدانيَّةِ والإسلام، قال تعالى: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. فإننا أصدقاءُ أوفياءُ، كما إن لك جيرانًا أوفياءَ مسيحيين، فإننا أصدقاءُ أوفياءُ لأن شعارَ الوحدةِ الوطنية عندكم في مصرَ في الحركاتِ الوطنّية "الدينُ لله والوطنُ للجميع" أليسَ كذلك؟!.

فطأطأ محمدٌ رأسَه وقال:

ـ نعم يا صديقي.. نحنُ أصدقاءُ لنشرِ السماحةِ والتعاونِ بين أقطارِ الأرضِ جميعِها كما نشرْناها في عالمِنا الإسلاميِّ.. فلتكن أرضُ الله هي أرض التعاون والتسامحِ والحرِّية بعيدًا عن التعصّبِ الأعمى الذي يَخلق العداوةَ والبغضاءَ والحروب من أجلِ خيرِ الإنسانية كلِّها.. .

فتشابكت الأيدي ورفع محمدٌ ويوسفُ يديهما متشابكتين وقالا:

ـ تحيا الصداقةُ بين الشعوب.. تحيا الصداقةُ بين الأديان.. من أجل خير العالمين.. .

وخرَج الصديقانِ لينشرا دعوةَ الحبِّ والتسامحِ في العالَم أجمع.